محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره الثقافي في السودان الغربي خلال القرن 15م.

الاسم واللقب: كينه ميلوده / محمد صديقي

الوظيفة: أستاذة مساعد /أستاذ مساعدة بجامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

الدرجة العلمية: طلبة دكتوراه تخصص تاريخ المغرب الوسيط والحديث

مؤسسة العمل:.جامعة حمه لخضر الوادي.

الكلية: العلوم الاجتماعية والإنسانية .

القسم: قسم العلوم الإنسانية.

رقم الهاتف: 0668526327

البريد الإلكتروني: m754362@gmail.com

محور المداخلة: **المحور الأول** مظاهر التبادل الحضاري بين الجزائر والبلدان الساحل الإفريقي

عنوان المداخلة:عبد الكريم المغيلي ودوره الثقافي في الساحل الإفريقي خلال القرن 15م

يعتبر الإمام المغيلي من ابرز علماء المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن 8هـ/15م، وهو من الفقهاء الأذكياء ذوي الرؤية الثقافية والحكمة الصائبة وواحدة من العلماء الذين كانت لهم مشاركة في تفعيل الحياة السياسية والثقافية بتوات والسودان الغربي، وله شهرة في الدعوة إلى الله ورسوله وكرهه لأعدائه، فكان شديدة الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، فقد اشتهر بعلمه الواسع، وبمواقفه السياسية الصارمة وبنشاطه الإصلاحي المجدد، حيث غادر تلمسان في عام 1452م ولجا إلى توات هروبا من مفاسدها ورغبة منه في نشر العلم والدعوة في السبيل الله، وهناك جلس للتدريس وبنى زاويته القادرية، وذاع صيته في كامل

[1] ابن عساكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر. ت محمد حاجي، دار الغرب، بيروت،ص 130

الصحراء وبلاد السودان، حارب اليهود الذين استبدوا واستكبروا في توات، ورأى بعدها أن ينتقل إلى السودان لنشر الإسلام والقضاء على البدع والوثنية وقضى وقتا طويلا هناك في الدعوة والإصلاح، حيث خلف هناك تلاميذ اتبعوا منهجه و دعو لفكره، وخلف لنا تراثا فقهيا ثريا .

ومن هنا تكون **الإشكالية العامة للمداخلة:** ما طبيعة النشاط الثقافي الذي قام به المغيلي في السودان الغربي ؟

تندرج تحته **عدة الإشكاليات فرعية:**

- من هو عبد الكريم المغيلي؟
- ما هي أسباب انتقاله لتوات ثم إلى السودان الغربي ؟
- فيما تمثل الدور الثقافي الذي قام به السودان الغربي؟
- ما هي أثار المغيلي هناك؟

أولا: مولد الإمام المغيلي ونشأته:

أولا: أصله ومولده: الشيخ بن عبد الكريم المغيلي[1]، هو احد علماء القرن الخامس عشر الميلادي المشهورين تتفق الروايات التاريخية حول النسب الشريف للمغيلي بالرغم من بعض الاختلاف في تعداد أجداده وأسمائهم، فقد جاء في الشجره الكبرى بأنه محمد بن عبد الكريم المغيلي ويدعى أبو عبد الله بن محمد بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن قيس بن غالب بن أبي بكر مكررة ،ابن عبد الله إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني البسط بن فاطمة بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم). ويتبين من خلال السلسلتين أن نسبه يتصل بالنسب الحسيني وأنه من الأشراف ويمكن الاختلاف في أسماء بعض أجداده[2] .

---

[1] المغيلي: نسبة لقبيلة من البربر استوطنت تلمسان ووهران والمغرب الأقصى،وهي فرع من قبيلة صنهاجة كبرى شعوب الأفارقة البيض،ويصفها الوزان بأنها مدينة صغيرة أسسها الرومان على قمة جبل بطل على فاس ولها أرض طيبة، وبها عيون جارية (الحسن الوزان:**وصف إفريقيا**،تر:عبد الرحمان حميدة،ط1،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ج1987،1.).

([2]): مقدم مبروك مقدم : **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية** ،ط1،مؤسسة الجزائر للكتاب،تلمسان،2002، ص 28.

ولقد تباينت الروايات في تاريخ مولده تباينا كبيرا، حيث يصعب على المترجم لحياته تحديد سنة ميلاه، فهناك رواية بأنه ولد بقرية مغيلة بضواحي تلمسان [1]، فلقب بالمغيلي نسبة لها عام (970هـ-1388م)[2]، وهناك رواية أخرى ترجح أن تكون سنة مولده هي عام (820هـ-1417م). وهو رأي القاضي المكناسي في تاريخ الوفيات، فعندما ذكر وفاة أحمد بن محمد المغزاوي المصمودي في تلك السنة قال: "ومحمد بن عبد الكريم المغيلي الرجل الصالح في حدودها"[3]. وهذا التاريخ ذكره عبد الحميد بكري في كتابه "النبذة" كما رجح مبروك مقدم في كتابه أنه ولد عام(831هـ-1427م) وقال لتطابقه مع الأحداث وخاصة مراسلاته وتنقلاته لأصقاع العالم وخاصة افريقية الغربية، وهذا التاريخ يعد مقبولا بالنسبة للرواية الأولى.

نشأ الإمام المغيلي في أحضان عائلته المشهورة بالعلم والتقوى والتصوف حيث ظهر بها العديد من العلماء ونبغ منها أعلام على سبيل المثال: الشيخ موسى بن يحي بن عيسى المغيلي المازوني، كما ترعرع ونشا بين أحضان شيخ مغيلية محمد بن احمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب فحفظ عليه القرءان الكريم، كما اخذ عنه مبادئ الفقه وأمهات الكتب الفقهية للمذهب المالكي كالرسالة ومختصر خليل وابن الحاجب وابن يونس[4] . كما تتلمذ على يد يحي بن بدر وتربى على يد أبي العباس الوغليسي عكف بعدها على دراسة العلوم العربية الإسلامية العقلية والنقلية الشيء الذي دفعه إلى مغادرة تلمسان باتجاه إلى بجاية فقد كانت آنذاك مركزا ثقافيا يعج به الطلاب الوافدين إليها من كل جهة فأخذ الحديث" موطأ الإمام مالك" عن الإمام سعيد المقري وعلوم العربية عن يحي بن يدير، لكنه لم يبق كثيرا في

([1]): عبد الرحمان عمر الماجي: **الدعوة الإسلامية في إفريقيا، الواقع والمستقبل**، ديوان المطبوعات الجامعية ، قسنطينة ،1989 ، ص 112.

([2]): محمد بن عبد الكريم المغيلي :**مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تح:رابح بونار ،ط1، 1968، ص ص 8 ،9.

([3]): أحمد الحمدي: **محمد بن عبد الكريم المغيلي،رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره**،رسالة ماجستير ،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،جامعة وهران،1999-2000، غير منشورة،ص 34.

([4]) : مقدم مبروك : الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي،ص49.

بجايــة فخــرج منهــا قاصــدا جزائــر بنــي مزغنــة مــدركا مــن بعــض زملائــه الطــلاب شــهرة مدرســة الإمــام عبــد الــرحمن الثعــالبي فنــزل عنــده لطلــب العلــم والمعرفــة ومكــث عنــده مــدة مــن الــزمن يأخــذ عنــه علــم الحــديث والتفســير والقــرءان وعلــم التصــوف ولمــا رأى الإمــام الثعــالبي فــي شــخص المغيلــي الــذكاء والفقــه والشــجاعة قربــة إليــه وزوجــه ابنتــه زينــب وكــان هــذا ســنة 875هـ، وهــذا يــدل علــى إن للإمــام المغيلــي مكانــة وحظــوة عنــد شــيخه عبــد الــرحمن لمــا رأى فيــه مــن توقــد الذاكرة وقدرته على القيام بالدور المنوط له[1] .

ثانيا: المغيلي بإقليم توات:

1-رحلته إلى توات: لقد كانت توات[2] منذ العصور الغابرة ملجأ آمنا لكل المضطهدي ومقرا حصينا، يقصده الكثير من ضحايا القمع السياسي والديني ، ونظرا لتوتر الأوضاع السياسية بتلمسان قرر المغيلي مغادرتها متجها نحو القصور التواتية بجنوب الصحراء عله يجد في هذه النواحي البعيدة عن العواصم السياسية مكانا آمنا ، يباشر فيه حريته في تلقين العلم والدعوة إلى الله .

كان دخول الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى توات زمان أخر الدولة المرينية بالمغرب، وقت احتلال نظامها فوجد توات مهملة مقتصرة حكمها على شيوخ بلدانها وقد ظهر فيها فساد ومنكر عظيم، فكانت أول أرض نزل بها هي منطقة أولاد سعيد عاصمة منطقة قورارة بيتميمون/وهذا حوالي 856هـ/1452م، فلا نحتاج الآن إلى دليل إثبات حقيقة سكن واستيطان الشيخ المغيلي في أولاد سعيد، فخلف أثار كثيرة هناك تدل عليه ووجود قبر زوجته زينب بنت الشيخ عبد الرحمن الثعالبي دفين العاصمة، وقبر نجله علي[3] .

2 موقفه من يهود توات:

---

[1] حاج احمد نور الدين، **المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء**" مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الاسلامية" جامعة الحاج لخضر- باتنة- الجزائر،1431-1432هـ/ 2010-2011م ،ص ص27- 28.

[2] اقليم توات:

[3] ، حاج أحمد نور الدين، المرجع السابق، ص 37.

عندما استقر في إقليم توات رأى من يهودها تجاوزا خطيرا للحدود الشرعية واستعلاء على المسلمين، كما لاحظ تساهلا من المسلمين معهم حتى أن الواحد يقرب اليهودي من نفسه وعياله أو يستعمله في أسرار أعماله ناهيك عن نشاط يهودي كبير يدعمه النفوذ السياسي والاقتصادي مما تشجعهم على بناء بيع جديدة فأظهر رأيه مستنكرا عليهم فعلهم حيث كان ملخص رأيه كمصلح: أنه على اليهود أن يحترموا وضعيتهم القانونية في بلاد المسلمين، إذ تعد أفعالهم بمثابة نقض لعهد الذمة المبني أساسا على الخضوع لسلطة المسلمين مقابل توفير حماية المسلمين لهم في أنفسهم أموالهم ، فانتهى به الأمر بضرورة هدم كنائسهم .[1]

وكان قاضي توات الفقيه عبد الله بن أبي بكر العصموني من أشد المعارضين لقضية هدم الكنائس ، فقام كل من الشيخ المغيلي والعصموني بمراسلة علماء فاس،وتلمسان وتونس من اجل الاستعانة بأخذ رأيهم في المسألة وقد وافق بعض العلماء رأي العصموني ومن بينهم الشيخ **ابن زكريا** فقيه تلمسان[2] .

ولقد نتج عن هذه الثورة العديد من الأمور أو النتائج تجلب في هدم بيع اليهود وتخريبها وإجلاء العديد منهم من المنطقة ، حيث قام المغيلي بتأسيس إمارة توات كما تم نقل العاصمة – عاصمة الإقليم – من تمنطيط إلى الناحية الشرقية من الإقليم فأصبحت بوعلي مقر البرامكة هي عاصمة الإقليم التواتي، وكان ذلك بعد إجلاء اليهود وطردهم مما عرض المنطقة – توات – لأزمة اقتصادية لأن اليهود أهل صناعة ولقد كانوا هم المحرك الرئيسي للمبادلات التجارية مع بلاد السودان الغربي والمناطق الأخرى[3].

حياة الإمام لم تكن كلها جهاد وحملات عسكرية لأن أحداث اليهود لم تدم سوى بضع سنوات فهو قبل كل شيء رجل علم وثقافة ودين قبل كونه عسكريا. حيث

([1])أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** ،تح:علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،ج2.2004م،ص264.

([2])الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا الأندلس والمغرب** ، تح : مجموعة من الدكاترة بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ج2، ص ص 214. 215.

([3]): أحمد الحمدي : المرجع السابق ، ص 120

يعد المغيلي شيخ ومقدم الطريقة القادرية بزاويته في توات أي انه استطاع أن يستفيد من مبادئ الطريقة التي تقوم على السمع والطاعة للشيخ في حشد عدد لا بأس به من الأنصار والمريدين في خدمة توجه الإصلاحي وفي حربه ضد اليهود وأنصاره[1]، يتضح لنا تعدد المهام التي تقوم بها زاوية الإمام المغيلي تعدد أعمال ومهام مؤسسها أو صاحبها رغم انه لم يمكث بها وقت طويل حتى شد رحاله باتجاه بلاد السودان الغربي لأجل نشر الإسلام والدعوة والإصلاح ، بعد استخلاف ابنه عبد الجبار على الإمارة بتوات ، ليكمل هناك مشروعه الإصلاحي ونشر الطريقة القادرية بتلك الديار[2].

ثالثا: رحلته إلى السودان الغربي وحركته الإصلاحية :

1. أسباب رحلته لسودان الغربي:

انتقل الإمام المغيلي إلى بلاد السودان الغربي بعد أن استتب له الأمر في توات بالقضاء على اليهود، حتى يساهم بدوره في الدعوة إلى الله والإصلاح بهذه البلاد حيث كانت شهرته سبقته إليها كعالم من علماء زمانه اللامعين، حيث نقلت القوافل التجارية أخباره فتطلع السكان لرؤيته والتعلم منه، بدخوله للمنطقة كان اغلب سكانها لازالوا على الشرك ولم تتح لهم الفرصة للتعرف على الدين الجديد، بل أولئك الذين اعتنقوا الإسلام لا يزالوا على جهل كبير بالكثير من الأحكام التي يلزمهم معرفتها للالتزام بها، وبذلك وجد المغيلي مجالا ملائما لتجسيد أفكاره الإصلاحية والدعوة إليها، فالفطرة لدى أهل المنطقة لا تزال سليمة لم يعكر صفاؤها بعد.على عكس ما كان سائدا عند أهل المغرب، وقد ساعده في ذلك تقبل الأمراء لدعوته والمساهمة في إنجاحها([3]).

([1]) مقدم مبـــروك : الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر، ص117،

([2]) محمد باي بلعالـــم : المرجع السابـق، ص 89 .

([3]) بوغرارة منيـرة: **محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الاسلامية في غرب افريقيا**_، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،غير منشورة.

2. مسار تنقلاته وحركته الاصلاحية الثقافية:

1 التأليف:

ا. دعوته_الإصلاحية_بإمارات_الهوسا: لم يتوجه المغيلي مباشرة لبلاد الهوس بل دخلها بعد مروره ببلدة "**تكـدة**" ([1]) و"**أكـدز**" ثم إلى "**كـانو**" أحد أهم إمارات الهوسا ،إذ وصلها والتقى بحاكمها **محمد بـن يعقوب رنفا** الذي كان يتربع على عرش كـانو في الفترة الزمنية (867هـ-904هـ/1463م-1499م)، فقد اشتهر هناك المغيلي كعالم ومصلح، ومقاوم للبدع والخرافات، إذ حمدت سيرته هناك، فقربه سلطانها، حيث كان متعلقا بالمغيلي منذ دخوله لإمارته، فحضر حلقاته العلمية، كما بين له الإمام المغيلي الطريقة الصحيحة في الحكم، ووضع له القواعد التي يجب السير عليها حيث فصل له الكثير من الأحكام السلطانية.([2])

ويتضح ذلك من خلال ما وضعه المغيلي لأمير كانو، حيث ألف له "**رسالة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام** "، كما وجه له رسالة أخرى في شؤون الإمارة والحكم والسياسة الشرعية سماها:"**تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**".

وقد قام بتوليه لمناصب رسمية في الدولة كاتخاذه مستشارا، ومنصب القضاء والإفتاء، إذن الفصل في الخصومات يتطلب معرفة دقيقة بالأوضاع الاجتماعية و قيام المغيلي بالتأليف، يدل على إن المدة التي

([1]) تكدة أو تقدة وهي بلدة في أواخر تمسنا بأرض النيجر حاليا (عثمان الشنقيطي : فتح الشكور في ذكر بلاد التكرور، ص154).

([2]) شبيبان عبد الرحمان:_"**من مآثر محمد بن عبد الكريم المغيلي، جهاده من أجل الوحدة الإفريقية والوحدة الإسلامية**."، وزارة الثقافة والسياحة، ع1985،88،ص54.

قضـــاها بهـــذه الـــبلاد ليســـت بقصـــيرة، خصوصـــا وأن العمـــل الإصـــلاحي يحتـــاج إلى جهد كبير، وصبر طويل، وعمل دائم متواصل.

مـن مدينـة "**كـــانو**" انتقـل المغيلـي إلـى مدينـة "**كشـــنة**"([1]) فجـرى علـى عادتـه فـي الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر ، حيـث تعـد هـذه المدينـة عاصـمة مدينـة كشنة إحدى إمارات الهوسا لكن لم يطل فيها ([2]).

ب ــ دعوتــه الاصــلاحية الثقافيــة مملــك سـنغاي بعد مـا غـادر كـانو إلـى كشـنا ومنـه إلـى مملكـة سـنغاي الإسـلامية بـبلاد التكـرو، وصـل عاصـمتها غـاو فـي 1498م والتقـى بحاكمهـا **الأســقيا محمــد الكبيــر** وحضـي عنـده بحفـاوة بالغـة تعظيمـا لعلمـه وفضـله.([3]) ، لمـا اطمـئن الأسـقيا الحـاج محمـد مـن جهـة المغيلـي جعلـه مستشـاره الخـاص ومرجعـه الفقهـي العـالى فـي المسـائل الفقهيـة.حيث عـرض عليـه فـي الفتـرة التـي قضـاها بـبلاده سـبعة مسـائل أثـار فيهـا المشـاكل الإجتماعـــية، والسياســية والدينيـــة، التـي كانـت تواجـه إمبراطوريتـه فأجابـه الإمـام المغيلـي بأجوبـة هامـة فـي رسـالة وضـح لـه فيهـا الفتـاوى الإسـلامية وحكـم الله ورسـوله فـي الموضـوعات التـي شـغلت فكـر الأسـقيا، فكانـت هـذه الأجوبـة عبـارة عـن فتـاوى أصـدرها الشـيخ للأمير ليعمـل بهـا فـي تـدبير أمـور مملكتـه، وهـي بمثابـة قـانون شـرعي يحتـوي علـى أهـم المسـائل التـي تمـس حيـاة الدولـة، والأفـراد كـالأحوال الشخصـية ونظـام المعـاملات([4]) واشـتهر هـذا التـأليف باسـم" **أســئلة الأســقيا وأجوبــة المغيلــي** ". وبـذلك فـإن الآثـار المغيليـة شـملت مختلـف العلـوم الدينيـة واللغويـة والسياسـة الشـرعية ،والعقيـدة و النـوازل ....وبـذلك يتبـين لنـا انـه كثيـر التـأليف ومـن مؤلفاتـه التـي

([1]):بوغرارة منيـــرة : المرجـــع السابق،.ص87.

([2]): التنبكتـــــي : نيـل الابتهاج،ج2،ص266.

([3])ابو بكر إسماعيل ميقا : **الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من القرن 05الى 12هـ**، ط1، مكتبة التوبة الرياض،1997م.

([4]):عبد الكريم المغيلـــي : أسـئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي،ص44.

ذكرها مترجموه[1] نجد كتاب **" البدر المنير في علو م التفسير"** و"**مصباح الأرواح في اصول الفلاح**" وهي التي ضمنها فتواه ،ومنها فتواه في نازلة توات وعرفت في بعض المصادر باسم " **تأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار** " وهو كتاب عجيب أرسله لعالم تلمسان ، محمد بن يوسف السنوسي وابن غازي [2] فقرضاه[3]، كما شرح مختصر خليل في الفقه المالكي وسماه "**منغي النبيل**" وحاشيه عليها سماها "**إكليل المغني وفي علم الحديث** " "**مفتاح النظر في علم الحديث**" ،وفي الميراث "**المفروض في علم الفرائض**" وفي السياسة الشرعية "**تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**" وفي علم الكلام "**رسالة في الرد المعتزلة**" ، وفي المنطق منظومة سماها "**منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب**"[4] .

وله أيضا " **تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين**" وكتاب "**الفتح المبين** "، و" **أجوبة عن أسئلة الأسقيا محمد الأول**" ، وجملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام ، وعدة قصائد **كالميمية** على وزن البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم [5].

2ـ **المناظرات العلمية:** وبعد مدينة غاو انتقل الإمام المغيلي إلى تمبكتو حيث التقى بسيدي عمر الكنتي يدرس تلامذته، فتناظرا في العلوم الشرعية، فوجد المغيلي الشيخ الكنتي متمكنا فيها، ثم اختبره في العلوم الحقيقية فوجده

([1]): ينظر احمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص 267 ، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي مصباح الأرواح في أصول الفلاح ص18

([2]): ولد في 841 هـ – 1437 م وتوفي 919 هـ – 1513م مؤرخ عالم بالتفسير والحديث والقراءات والحساب والأدب ، من فقهاء المالكية (خير الدين الزركلي : المصدر السابق ص 102)

([3]): عبد الكريم المغيلي : تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين ، ص 11

([4]): مقدم مبروك : الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره ص 258

([5]): عادل نويهض : **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر** ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت، لبنان ،1980 ، ص 308.

العلاقة بينهما فتوجها معا إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج ([1]).وفي طريقهما مرا على الإمام السيوطي فدخلا عليه فأكرمهما، ودار الحديث بينهما في علم الحديث ،حيث وقعت بينهما قبل ذلك مراسلة في علم المنطق، ثم صاحبهما الشيخ جلال الدين السيوطي إلى الحج، وعند وصولهما للبقاع المقدسة وعند مشارف المدينة المنورة هاجت عواطف الإمام المغيلي ([2]) وجادت قريحته بإرتجال قصيدته الميمية التي يقول فيها:

بشراك يا قلبي هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم.

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فالعبد الضعيف وضيف الله لا يضم.

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي يا من لقاصده أمن من النقم. ([3])

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فجر وجودك مورد لكل ضم.

وبعد أن أتما فريضة الحج رجعا إلى السودان بعد أن تركا جلال الدين السيوطي ببلاده ، ولما وصل المغيلي إلى مملكة سنغاي بأرض التكرور لم يمكث بها إلا قليلا حتى بلغه نبأ مقتل ابنه عبد الجبار على يد اليهود بإعانة من التواتيين الذين ساعدوهم على قتله، فانزعج أشد الإنزعاج بذلك الخبر المؤلم ، وحز في نفسه جرحا عميقا مما جعله يطلب من السلطان الأسقيا

([1]):ابو بكر إسماعيل ميقا:المرجع السابق،ص177.

([2]):أمحمد الكنتي :المرجع السابق،ص14.

([3])نفسه: ص14.

القبض على جميع التواتيين القاطنين بغاو العاصمة ([1]) فلبى له ذلك ، إلا أن الفقيه **محمود بن عمر أقيت** المشهور بأبي المحاسن أنكر على المغيلي فعله، ونبهه بان التواتيين القاطنين بسنغاي أبرياء لا ذنب لهم .فرجع المغيلي عن رأيه وطلب من الأسقيا أن يطلق سراحهم فأمتثل لرغبته مما يدل على مكانة المغيلي عند هذا الحاكم. ولم يسع المغيلي بعد ذلك إلا العودة إلى ارض توات ، والتجهيز لحرب ثانية ضد اليهود ومحاولة إصلاح ما أفسدوه بعد غيابه وبذلك تعد بلاد التكرور آخر أيام المغيلي في بلاد السودان الغربي قبل رجوعه إلى توات.

وفي هذه المرة لم يوفق المغيلي في حربه ضد اليهود إلا أن عطاءه في خدمة الإسلام والمسلمين لم يتوقف، حيث أواه البرامكة ببوعلي وباشر وظيفته معلما ومدرسا ومؤلفا حتى وافته المنية غرة رمضان 909هـ/1504م[2].

3. أثار المغيلي الإصلاحية الثقافية:

كان لحركة المغيلي الإصلاحية ببلاد السودان الغربي صدى واسعا وأثرا بعيدا على سائر إمارات تلك البلاد، حيث ساهم بقدر كبير في ترقية العلوم العربية والثقافة الإسلامية لسكان تلك البلاد، فقد جنت دعوته ثمارها عدة أجيال من سكان بلاد السودان الغربي منذ القرن التاسع الهجري، الخامس

([1]):التنبكتي :نيل الابتهاج،ج2،ص266.

[2] ابو بوبكر اسماعيل ميقا، المرجع السابق،ص171.

عشر الميلادي حتى في القرن 19م ، حيث أدى ذلك إلى تغيير ملموس في حياة الناس السياسية والاجتماعية والثقافية بهذه المنطقة، وما يحيط بها على مدى عقود من الزمن، فأكتسب بذلك مكانة عظيمة في السودان.

وقد ضاع صيته كأحد المصلحين اللامعين في الدعوة والإصلاح. وأصبحت كتبه مدرسة روحية تربى عليها العلماء والحكام والعامة. وظهر أثرها بارزا على الأمة في عهده، وعلى الأجيال التي أتت من بعده من المصلحين السودانيين الذين تأثروا بآرائه ومنهجه في التغيي، ومن يجب جهاده قتالهم من الكفار والمرتدين، ومن يدعي الإسلام ويخلط بينه وبين عبادة الأوثان أو يعتقد فيها النفع، وقد أخذ بمنهجه الشيخ **عثمان بن فودي** وأتباعه وخلفائه من بعده.([1])

ولعل أكبر شاهد على ذلك فترة جهاد السكوتو أتباع الشيخ **عثمان بن فودي**(1232هـ-1817م) ، حيث شهد هذا القرن 19م حركة إصلاحية و دينية واجتماعية وسياسية كبرى شملت منطقة واسعة من غرب إفريقيا جنوب الصحراء وتوجت في النهاية بإقامة دولة إسلامية على يد مؤسسها وزعيمها الروحي الشيخ الداعية المجدد عثمان بن محمد فودي الفلاني(1168هـ-1232هـ/1754-1817م).([2])

([1])أبو بكر إسماعيل ميقا : المرجع السابق،ص171.

([2]) : آدم عبد الله الألوري : **الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطي في نيجيريا** ،ط1،دار الحلبي، القاهرة،1974،ص59.

ويظهر أثر حركة المغيلي الإصلاحية في زعماء السكوتو الفوديين ، على رأسهم الشيخ عثمان وابنه محمد وأخيه عبد الله عندما درسوا كتبه ومخطوطاته، وبالأخص تلك المتعلقة بالميدانين السياسي والإجتماعي من أجل إصلاح وتغيير الحالتين السياسية والاجتماعية لمجتمعهم ،حيث كانت الدولة الإسلامية التي أقامها عثمان بن فودي (ت1232هـ -1817م) والتي دامت قرنا كاملا إلى غاية مطلع القرن العشرين تقوم أساسا على نشر الدعوة الإسلامية ومقاومة الكفر والوثنية ، وقمع البدع والخرافات.([1])

وإذا عدنا إلى مؤلفات عثمان بن فودي فإننا لا نكاد نجد مؤلفا من مؤلفات الشيخ عثمان يخلو من الإشارة للمغيلي، والنقل عنه والرجوع إلى وصاياه و فتاويه ورسائله والاحتجاج بأقواله وآرائه في تدعيم دعوته، وإسناد الأفكار التي تضمنتها حركته الجهادية والإصلاحية والدعوية ولاسيما أن هذه الحركة قد واجهت كثيرا من الخصوم لا من العوام فقط ، ولكن من بعض العلماء والأمراء أيضا. فكانت فتاوى المغيلي وكتاباته بما لها من نفوس الجميع من الإجلال والإكبار هي الحجة الدامغة من بين الحجج التي اعتمد عليها ابن فودي وأنصاره، حيث اعتمد في مؤلفاته كليا ، وفي كثير من الأحيان على كلام المغيلي، فمثلا في كتابه "**سراج الإخوان في أهم ما**

([1]) أحمد إبراهيم دياب :" **علماء السودان الغربي في القرن السادس عشر والتاسع عشر وآثارهم العلمية ندوة الأفارقة العلماء ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية** "،28-30 أوت 1983 ،مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الخرطوم ،1985م.، ص264.

يحتـــاج إليـــه فـــي هـــذا الزمـــان " حيـث قسـمه إلـى عشـرة فصـــول.([1]) نقـل فـي تسـعة منهـا كـلام المغيلـي المتعلـق بأجوبتـه عـن أسـئلة الأسـقيا ، ولـو حـذفنا هاتـه النقـول لمـا بقـي سـوى بعـض فقـرات قليلـة أو تعليـق أو وسـيلة ربـط بـين الكـلام([2])، فـي رسـالة أخـرى لأبـن فـودي بعنـوان " **تنبيـــه الإخـــوان علـــى أحـــوال أرض الســـودان**" حيـث خصـص الفصـل السـادس مـن هاتـه الرسـالة لـذكر وصـية المغيلـي لمحمـد بـن يعقـوب أميـر كـانو، كمـا قـام فـي رسـالته المسـماة "**حصـــن الأفهـــام مـــن جيـــوش الأوهـــام** " بنقـل الكثيـر مـن كـلام المغيلـي فـي مواضـع مختلفـة ([3])

وقـد أكـد الـدكتور عبـد الله مـن نيجيريـا بقولـه إن أفكـار المغيلـي:" أدت إلـى تغيـر ملمـوس فـي حيـاة النـاس لقـد ورث السـكوتو الجهـاد عـن الشـيخ المغيلـي وكـان ذلـك احـد العناصـر الهامـة فـي تطـور الإسـلام والثقافـة العربيـة بـبلاد الهوسا ..".

وفـي الأخيـر وبعـد تتبـع حركـة الإصـلاحية الثقـافي الإصـلاحية للإمـام محمـد بـن عبد الكريم المغيلي نخرج بعدة نقاط أساسية :

الـرحلات التـي قـام بهـا المغيلـي فـي السـودان الغربـي متـنقلا بـين بلـدانها وولاتهـا أعطـت دفعـة قويـة للعلاقـة بـين المغـرب الإسـلامي وإفريقيـا

([1]) : عبـد العلـي الـودغيري : "ملامـح مـن التـأثير المغربـي فـي الحركـة الإصـلاحية للشيخ المجدد عثمان بن فودي "، مجلة التـاريخ العربـي ،ع50،1996،ص19.

([2]) : نفســـه ، ص20.

([3]) : مقدم مبروك :الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر، ص145.

الغربيـــة، حيـــث لـــم تعـــد تقتصـــر العلاقـــة علـــى الجانـــب التجـــاري بـــل أصـــبح هنـــا نشـــاط علمـــي حيـــوي يـــربط بـــين المنطقتـــين، إذ يمكـــن عـــده مـــن الرمـــوز التـــي يعتمـــد عليهـــا فـــي التواصـــل والتقـــارب **الأفـــرو مغـــاربي**، كمـــا كـــان لتلـــك الـــرحلات والمنـــاظرات العلميـــة التـــي تخللتهـــا، والمناصـــب الرســـمية التـــي تقلـــدها دورا كبيـــرا فـــي بـــروز شخصـــيته كأحـــد الأعـــلام البـــارزين فـــي تلـــك الفتـــرة ، حتـــى غـــدا تـــأثيره محفوظـــا فـــي ذاكـــرة الأجيـــال مـــن أبنـــاء الســـودان الغربـــي، وظلـــت أعمالـــه وآثـــاره المكتوبـــة يحفظهـــا العلمـــاء وبتـــداولها أهـــل الإصـــلاح والسياســـة و رجـــال الـــدعوة جـــيلا بعـــد جيـــل، حتـــى أصـــبح الاحتجـــاج بأقوالـــه وآرائـــه الســـند الرئيســـي فـــي تـــدعيم حـــركتهم الجهاديـــة والإصـــلاحية والدعويـــة، حيـــث كـــانوا يواجهـــون خصـــومهم فـــي العديـــد مـــن القضـــايا الدينيـــة والدنيويـــة بفتـــاوى الإمـــام المغيلـــي وكتاباتـــه بمـــا لهـــا في نفوس الجميـــــع من الإجـــــــلال والإكبـــــــار.

- كـذلك يعـد الإمـام المغيلـي مـن ابـرز علمـاء المغـرب الأوسـط فـي النصـف الثـاني مـن القـرن 15 م ، فهـو مـن الفقهـاء الأجـلاء ، والأعـلام المشـهورين ذوي الرؤيـة الثاقبـة والحكمـة الصـائبة ، وواحـد مـن العلمـاء المشـهورين الـذين كانـت لهـم مشـاركة بـارزة فـي تفعيـل الحيـاة السياسـية والثقافيـة بتـوات والسـودان الغربـي ، ولـه شهرة الدعوة إلى الله ورسوله.

-وبالإضـافة إلـى مناظراتـه العلميـة فقـد خلـف الشـيخ العلامـة البحـر، الفهامـة عبـد الكـريم المغيلـي مصـنفات عديـدة يمكـن تصـنيفها إلـى ثلاثـة أصـناف : الآثـار المتعلقـة بالاتجـاه التصـحيحي للإمـام المغيلـي ، وآثـار علميـة متعلقـة بالاتجـاه الروحـي لدعوتـه ومنهجـه العلمـي وكـذلك آثـار علميـة وعمليـة متعلقـة بالاتجـاه المتمثـل فـي المقـالات والكتـب التـي خلفهـا بعـد وفاتـه، ومـن خـلال هـذا السـرد لأغلـب مـا كتبـه الإمـام المغيلـي، فإنـه يتضـح لنـا بصـورة مشـرقة مـا كانـت عليـه حيـاة هـذا الداعيـة الكبيـر، الـذي لـم يشـغله هـم

الإصـــلاح والـــدعوة إلـــى الله عـــن التـــدريس، والكتابـــة والفتـــوى والقضـــاء، فكـــان بحـــق احـــد الرجـال العظـام وأكـابر المصـلحين الأبطـال الـذين تفخـر بهـم إفريقيـا عامـة والمغـرب العربـي خاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1. أحمد بابا التنبكتـي: **كفايـة المحتـاج لمعرفـة مـن لـيس فـي الـديباج** ،تح:علـي عمـر، ط1، مكتبـة الثقافة الدينية ،القاهرة ،ج2.2004م.
2. ابن بطوطـة (779هـ-1377م):**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: محمد عبد الرحيم، ط1 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،ج2 .2003م.
3. حســـن الوزان(959هـ-1552م): **وصف إفريقيا**، تر: عبد الرحمان حميدة ،ط1 جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،ج7. 1987م.
4. ابن عساكـــــر: **دوحـة الناشـر لمحاسـن مـن كـان فـي المغـرب مـن مشـايخ القـرن العاشـر**، تـح: محمد حجي، ط2،دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977م.
5. المغيلـي محمـد بـن عبـد الكريـم :**مصـباح الأرواح فـي أصـول الفـلاح** ،ط1، تـح :رابـح بونـار، 1968م.
6. الونشريســـــي: **المعيار_المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا الأندلس والمغرب**، تح : مجموعة من الدكاترة بإشراف محمد حجي ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ج2.

ثانيا: المراجع:

1. مقدم مبروك مقدم : **الإمام محمـد بن عبـد الكريـم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية** ،ط1،مؤسسة الجزائر للكتاب،تلمسان،2002، ص 28.

2ـ عبـد الرحمـان عمـر المـاجي: **الـــدعوة الإســـلامية فـــي إفريقيـــا، الواقـــع والمســـتقبل**، ديوان المطبوعـات الجامعية ، قسنطينة ،1989 ، ص 112.

4 محمـد بـن عبـد الكـريم المغيلـي :**مصـــباح الأرواح فـــي أصـــول الفـــلاح**، تح:رابـح بونار،ط1، 1968، ص ص 8 ،9.

5 أحمد الحمدي: **محمد بن عبد الكريم المغيلي،رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره**،رسالة ماجستير ،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،جامعة وهران،1999-2000، غير منشورة،ص 34.

6 مقدم مبروك : الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي.

7. حاج احمد نور الدين، **المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء**" مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الاسلامية" جامعة الحاج لخضر- باتنة- الجزائر،1431-1432هـ/ 2010-2011م .

8. أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** ،تح:علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ،ج2004.2م.

9. مقدم مبروك : الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر، ص117،

10 . بوغرارة منيرة: **محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الاسلامية في غرب افريقيا**_، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،غير منشورة.

11ـ شبيبان عبد الرحمان:_"**من مآثر محمد بن عبد الكريم المغيلي، جهاده من أجل الوحدة الإفريقية والوحدة الإسلامية.**"، وزارة الثقافة والسياحة، ع1985،88.

12ـ ابو بكر إسماعيل ميقا : **الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من القرن 05الى 12هـ**، ط1، مكتبة التوبة الرياض،1997م.

13ـ ينظر احمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص 267 ، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي مصباح الأرواح في أصول الفلاح .

14ـ عادل نويهض : **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر** ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت، لبنان ،1980 .

15ـ آدم عبد اله الألوري : **الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطي في نيجيريا** ،ط1،دار الحلبي، القاهرة،1974.

16. أحمـد إبراهيم دياب :" **علماء السودان الغربي في القرن السادس عشر والتاسع عشر وآثارهم العلمية ندوة الأفارقة العلماء ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية**"،28-30 أوت 1983 ،مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الخرطوم ،1985م.

17ـ عبـد العلـي الـودغيري : "ملامـح مـن التـأثير المغربـي فـي الحركـة الإصـلاحية للشـيخ المجـدد عثمـان بـن فـودي "، مجلـة التـاريخ العربـي، ع1996،50.